المقالة الخامسة

" الترسانة العسكرية الإسرائيلية الجديدة وخصائصها القتالية "

تحت هذا العنوان كتب المؤلف – رحمه الله – « الموضوع الذي نثيره على هذه الصفحات من أعقد ما يمكن أن يتعرض له مفكر. انه في جوهره يدور حول تقييم سياستنا في مواجهة إسرائيل. مثل هذه العملية، عملية التقييم، تثير العديد من الصعوبات، التي يكاد يستحيل اجتيازها. أولى هذه الصعوبات وأهمها المصادر، فإلى جانب صعوبة الوصول إلى المعلومات الحقيقية، فان أحد أساليب أجهزة المخابرات المعروفة هو تسريب معلومات غير دقيقة، أو خاطئة بقصد، تارة هي مُبالغ فيها لخلق الخوف والرهبة، وتارة هي بعيدة عن الموضوع لجذب الأنظار بعيداً عن حقيقة ما يجري في الدول أو المجتمع موضع المناقشة. كلا هذين الأسلوبين برعت فيهما المخابرات الإسرائيلية والأمريكية.

الأسلوب الأول أي خلق الخوف والرهبة إلى حد اليأس، استخدمته القيادات الصهيونية، وقد كشفنا عن ذلك في مؤلفنا عن "الحرب النفسية" وحتى قبل صدور القرار الدولي بالتقسيم.

الأسلوب الثاني برعت فيه بدورها المخابرات الأمريكية، والتقرير المشهور عن الانتاج البترولي في الاتحاد السوفييتي أضحى من المسلم به أنه اختلق، وبهدف محدد، يدور حول صرف النظر عن احتمالات انخفاض سعر البترول في فترة معينة، ومن هنا تبدو أمامنا أول صعوبة في التحقق من المعلومات. درجت الدول ذات الفاعلية الدولية أن تكون إحدى وظائف أجهزتها للمخابرات الدراسية العلمية المتأنية لهذه التقارير واتخاذ قرارات بشأنها من حيث الترجيح أو الاستبعاد، ودرجة سواء الترجيح أو عدم القناعة، جهاز المخابرات في ألمانيا الغربية يضم أكثر من أربعمائة عالم متخصص، وظيفتهم فقط

هـذه العملية، **فهل نحن على علم بذلك** ؟ وهل جهاز المخابرات لدينا يملك مثل هذه الأداة ؟ لا أريد أن أجيب فإن ما أعرفه لا يدعو إلا إلى الخجل، ولذلك فان الحديث يجب أن يكون بحذر، وأن يتجنب المرء سواء التهويل والمبالغة أو التهوين والتحرز في كلا الحالين هناك، خطأ يجب تفاديه.

- ويرتبط بذلك، ورغم أن ذلك موضوع آخر سوف نعود له في موضع آخر، بينما إسرائيل بفضل أجهزتها المتعددة المتواجدة بيننا، استطاعت أن تعلم كل شئ عنا، وبجميع التفاصيل الخفية حتى عن علمائنا، نحن لم نعلم ولن نعلم عن إسرائيل شيئاً بسبب ذلك التهرب الواضح من قياداتنا، في الخوض في هذا الموضوع، ولا نقصد فقط بقياداتنا أولئك المسئولين عن سياستنا الخارجية والعسكرية بل وحتى قياداتنا العلمية.
- في مثل هذا الواقع، لو اضطر الباحث أو المسئول اتخاذ موقف صريح بما يعنيه ذلك من ترجيح معين، فكيف يكون السبيل ؟

علماء الاستراتيچية يتقدمون بقاعدتين:

«الأولى» أي احتمال مهما ضعفت نسبة ترجيحه يجب أن يؤخذ في الاعتبار، وأن تُعدْ العُدة لمواجهته.

«الثانية» أن تخطيط التعامل يجب أن يكون أساسه ما اتفق على تسميته «أسوأ موقف للتعامل».

القاعدة الأولى تعني أنه مهما ضعفت احتمالات موقف معين، فيجب أن يؤخذ ذلك الموقف في الاعتبار. من المعروف أن احتمالات الحرب النووية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة لا تتجاوز ٢٪ وأن نصف ذلك الرقم أي ١٪ أساسه احتمالات حدوث اضطراب ذهني لمن يملك مفاتيح اتخاذ القرار، بإطلاق السلاح النووي. وهذا يعني أن الاحتمال الحقيقي هو فقط بنسبة ١٪ ومع ذلك فان هذا الاحتمال هو أساس مطلق للاستراتيچية الأمريكية وتبعاً لذلك جميع عناصر التحرك الدبلوماسي الأمريكي.

القاعدة الثانية هي أن على المخطط للتعامل أن يفترض أسوأ موقف للتعامل سواء بمعنى تحالف الأعداء، بل وجميع الأعداء، أو احتمال المباغتة دون أي قدرة على التوقع أو احتمال تحييد جميع أدوات الدفاع والتعامل العسكري. أسوأ موقف يمكن أن تتعرض له دولة معينة، ما هو هذا الموقف ؟ أي أسوأ وضع يمكن أن توجد فيه دولة من الدول، هو الذي يجب أن يكون أساس التخطيط للتعامل مع الأعداء، بل أن هذا الافتراض، وهذا

التصور، يصل إلى حد وضع خطة للتعامل، أساسها تحول جميع الأصدقاء إلى أعداء، ولهذا نسمع الحديث حتى عن استراتيجية للقتال، أساسها نزع السلاح من يد العدو، لاستخدامه ضد ذلك العدو. وذلك يعني وضع نشن فيه قتالاً ونحن لا نملك سلاحاً للقتال(1).

ماذا يعني ذلك بالنسبة لنا ؟

يجب أن نجعل ولو من احتمال القتال مع إسرائيل بنسبة ١٪، أساساً للتقدير وأن ندخله في حسابنا بجدية كاملة، كذلك يجب أن نملك استراتيجيتنا المستقلة، والتي أساسها أسوأ موقف متصور، ويعني ذلك احتمال أن تتقلب جميع الدول العربية ضدنا، بل ومتحالفة مع إسرائيل. إن هذا هو علم التدبر، ولكن هل نحن نملك قيادة تَصلُح لذلك(2) ؟

ملحوظة أخرى يجب أن نطرحها منذ الآن، ونكون على وعي حقيقي بما نعنيه، تحليلنا للواقع الاسرائيلي بصدق وأمانة، لا يعني أننا غافلون عن ذلك الذي أصاب هذا الواقع من ضعف داخلي، واقليمي، ودولي، اسرائيل لم تعد تملك تلك القيادات الرائدة، زعماؤها أشبه برجال العصابات تبحث عبثاً عن واحد من الطبقة الحاكمة، يمكن أن يوصف بأنه رجل دولة، التماسك الايديولوچي اختفي منذ حرب لبنان، المشروع الصهيوني قد دخل مرحلة التهلهل، ولكن ونحن نؤكد ذلك(*) علينا أن نتذكر كذلك ضرورة مقارنة إسرائيل بخصومها الذين يحيطون بها، المثل الذي نعرفه جيداً يقول بأن «الأعور وسط العميان ملك».

---

(1) اذن عدم وجود توازن في التسليح ليس مشكلة وإنما المشكلة هي وجود إرادة القتال ومواجهة تحديات العدو .

(2) الجواب بصراحة .. لا والسبب في ذلك لا أقول غياب الاستراتيجية العسكرية ولكن لغياب الإسلام نفسه عن قياداتنا !!

(*) تشير صحيفة "The Jewish chronicle" إلى كتاب "سقوط إسرائيل" فنقول : « يعيش معظم الإسرائيليون حياتهم – البائسة – وهم يشعرون بالامتنان .. للسياسيين الذين يحكمونهم .. إن حكاية كون إسرائيل هي الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط .. مهزلة . ولأول مرة يظهر كتاب يخاطب غير المتحدثين بالعبرية ليفضح الفساد المالي والسياسي الذي تحياه الدولة اليهودية ومع إختلافنا مع دوافع المؤلف فإننا نتفق معه في أن إسرائيل الدولة اليهودية "آيلة للسقوط"، ولكن إرهاصات سقوطها شئ آخر غير ما يعرضه المؤلف .. ونرجو أن نهدي هذه الترجمة إلى كل الذين يحاولون بعث الحياة في أشلاء عفنه .. بقي أن نشير إلى أن الكتاب صدر في الربع الأخير من عام 1992 لمؤلفه "باري شميش" وهو من مواليد 1952، وقد هاجر إلى الأرض المحتلة عام 1975، حيث خدم في الجيش اليهودي وعايش أحداث غزو لبنان. وبهذا فإنه يكون "شاهد من أهلها".
راجع كتاب "سقوط إسرائيل" لمؤلفه "باري شميش" ترجمة : عمار جولان/محمد العابد، مراجعه علي رڤان الأهلية للنشر والتوزيع . الأردن . الطبعة الأولى 1993 صـ6

- أيها القارئ .. هذا الأمر أكد عليه اللواء أ.ح.د. فوزي محمد طايل في كتابه "النظام السياسي في إسرائيل" مرجع سابق فقال : [هكذا تقترب إسرائيل من القمة وأيضاً من حافة الهاوية .. كلما اقتربت أكثر من تحقيق فكرة إعادة بناء الهيكل على انقاض المسجد الأقصى] .
- وهذا ما أكده الكاتب – رحمه الله تعالى – فهل وعى الناس توجيهات علمائهم !!؟

يجب منذ البداية أن نتساءل: لماذا إسرائيل وهي مصابة بكل هذه النقائص قوية في مواجهة خصومها ؟

أسباب ثلاثة يجب أن تكون واضحة في الذهن نسردها مؤقتاً دون التفصيل في جزئياتها ولو مؤقتاً.

أولاً: الضعف العربي على جميع المستويات ودون استثناء، لا يجوز أن تخدعنا الأصوات المرتفعة، ولا يجوز أن نقف أمام الظواهر البراقة، قوة الشعوب ليست بغناها أو بحالة اليسر التي يمكن أن تعيشها بعض الفئات، القوة الحقيقية هي الصلابة والقدرة على تخطي المصاعب.

ثانياً: التموين الخارجي وعلى وجه التحديد من جانب القوى العظمى للوجود الاسرائيلي، جميع القوى الدولية تقف إلى جوار إسرائيل، بعضها بصراحة، حيث يتم توظيف الدولة اليهودية لصالح تلك القوى، ولكن هناك قوى أخرى من حيث الواقع تقف إلى جوار إسرائيل وإن كانت تعلن غير ذلك، والدليل الواضح هو أحد الأمثلة: دولة كفرنسا، انها هي التي مكنت إسرائيل من أن تصير دولة نووية، والتعاون بينها وبين إسرائيل حتى هذه اللحظة بذلك الخصوص على قدم وساق.

ثالثاً: القدرة الصهيونية فإذا كانت إسرائيل تضعف كقدرة دولية، تزداد قوة وتوغلا حتى أن الحديث عن الصهيونية غير اليهودية أضحى متداولاً ومتكرراً، وهي بهذا المعني قادرة على أن تقدم لإسرائيل قيادات تلعب من خلف الستار، ذلك الدور الذي عودتنا القيادات الاسرائيلية أن تقوم به وبفاعلية. ولنذكر على سبيل المثال (سيلفر وجولدن) وعقبهما (كيسنجر) الذي أنقذ إسرائيل حقيقة في حرب 1973، ومكنها من نصر دبلوماسي لم تكن تحلم به(*)، وسوف نري ذلك في موضعه.

(*) هذا النصر الذي حققه كيسنجر في حرب 73 حقيقة لم يكن من عنده .. أو بسببه .. ولكن بسبب ضعف المفاوض الذي معه وهو الرئيس السادات . قال محمد إبراهيم كامل وزير خارجية مصر [قدرة السادات التفاوضية من خلال التجربة التي حدثت في كامب ديفيد كانت غير موفقة وسيئة للغاية، فهو اعتمد على عناصر معينة على أمل أن تدفع بالمبادرة إلى طريق النجاح، دون أن يدرس حدود وإمكانيات الشخصيات التي واجهها سواء مناحيم بيجن أو الرئيس الأمريكي كارتر الذي اعتمد عليه اعتماداً كلياً في كامب ديفيد.] صـ105 من كتاب " كامب ديفيد في عقل وزراء خارجية مصر" .

- ولقد قال محمود رياض – الخبير السياسي الأول لقضية فلسطين [كانت كامب ديفيد في عقل وزراء خارجية مصر – محمود فوزي – مكتبة مدبولي – طبعة أولى 1990 وكان ضعف السادات يتمثل في فشله في حرب أكتوبر 1973 في تحقيق مكاسب سياسية ، وتحول الميزان العسكري لصالح إسرائيل عام 1978، وبالنسبة لعام 1973 في حين تناقصت قوة الجيش المصري بشكل ملحوظ عن عام 1973 صـ 191 كما تخلي السادات عن الاختيار العسكري بتوقيعه اتفاق فض الاشتباك في عام 1975 وتعهده بعدم استخدام القوة] . مصدر سابق .
- ثم يقول في صـ 212 [فتاريخ السادات معروف لدي بالكامل .. الرجل لم يمارس سياسة خارجية، هذا فضلاً على أنه، وإن كان يقرأ، إلا أنه ليس بمقدار اطلاع عبد الناصر ولم تكن لديه التجربة =

إسرائيل التي نواجهها اليوم، والتي سوف نواجهها في الغد، بل وفي الوقت العاجل ليست هي التي واجهناها حتى حرب1973. هذا ما يجب أن ندخله في الاعتبار وأن تفهمه قياداتنا بوضوح مما لاشك فيه، أن إسرائيل اليوم والغد تملك من عناصر الضعف الكثير، ولكنها تملك أيضاً من عناصر القوة الكثير. وواجب قياداتنا أن تفهم فن القيادة، أن معني ذلك تحليل عناصر القوة لشلها، وعناصر الضعف لتضخيمها، قياداتنا تفضل على ذلك ما أسميه سياسة البكاء على الاطلال واللطم على الخدود. **فهل هكذا تقاد أمة ؟**

أحد عناصر القوة في إسرائيل هو المؤسسة العسكرية.

فهل لدينا جهاز يدرس ويملك من المعلومات الدقيقة والمتجددة كل ما يعني تلك المؤسسة؟ منذ قرابة خمسة أعوام، خرج علينا عالم إسرائيلي يتحدث عن الديمقراطية العسكرية ومستقبلها في إسرائيل. وكان لمؤلفه في الأوساط العلمية المتخصصة دوي القنبلة وعندما عدت إلى القاهرة منذ عدة أشهر رحت أبحث بحكم الفضول العلمي، عن هذا الكتاب أو من قرأه واطلع عليه أو تساءل عن معني ما ورد به فلم أجد إلا البلاهة المؤلمة. والغريب أن صاحب هذا المؤلف وهو إسرائيلي «يورام بيري» ينتمي إلى مدرسة علمية يقودها عالم آخر يهودي ولد بالأسكندرية ويعمل حاليا في جامعة هارفارد، وأصدر مؤلفا منذ أكثر من عشرة أعوام يعبر عن نفس التوجه ولكن بحذر، حل ضيفا في أكثر من مناسبة على مصلحة الاستعلامات المصرية، ولم يفكر أحد في أن يجري حواراً معه من متخصص ليستفيد على الأقل من وجوده ومما انفق عليه في مصر أثناء حلوله ضيفا مكرماً على بلادنا ؟ أقصد بذلك العالم اليهودي (سافران).

قديماً قيل أن الشكوي لغير الله مذلة. فهل ينطبق هذا القول أيضاً على علماء مصر الذين يعيشون ولا هاجس لهم الا أن يوقظوا الهمم ويعيدوا القيادات إلى وعيها.

= ← الشخصية علي التفاوض وتندهش إذا سمعت وقرأت رأي كيسنجر في أنور السادات وقدرته التفاوضية ، فلقد عقد كيسنجر مقارنة بين القدرات التفاوضية لكل من الملك فيصل والرئيس الأسد والرئيس السادات ، وكانت النتيجة أن السادات أضعفهم !! فليست لديه أي قدرة علي التفاوض .. ويروي كيسنجر أنه حين ذهب إسرائيل قدموا له مشروعاً ليقدم للسادات فقال لهم : لا .. قدموا له مشروعاً متشدداً حتى إذا ما رفض السادات هذا المشروع الذي وافق على المشروع المتشدد وقال إن لديه مشروعاً سوف يسميه "مشروع كيسنجر"، وانتهي الأمر بأن السادات قبل المشروع المتشدد بمنتهى السهولة !! ولما عاد كيسنجر إلى إسرائيل استقبله في المطار أيباابان وسميحادينتز سفير إسرائيل في واشنطن.] أ.هـ كتاب "كامب ديفيد في عقل وزراء خارجية مصر" – محمد فوزي ، مكتبة مدبولي – القاهرة – 1990 .

القيادة التي تخطط لمستقبل اسرائيل، ولفلسفة التعامل مع المنطقة، هي القيادة العسكرية المهنية، أفرزتها وعلمتها حرب لبنان، وهي تعمل في صمت وهدوء استعداداً للمعركة القادمة. فلنقتصر مؤقتاً على تحديد بعض العناصر التي يجب أن نكون على وعي بها، وقد طرحنا موضوع القنبلة النووية التكتيكية. نقطة البداية، في الفقه العسكري الاسرائيلي، الذي تكون خلال الأعوام العشرة الماضية، ينبع من نقطة أساسية في كل ما له صلة بالتعامل مع دول الجوار، وقد فُهمت هذه الكلمة بأوسع معانيها: التمييز بين الاجابة على السؤال، متى يجب أن تحارب إسرائيل ؟ والسؤال الآخر كيف يجب أن تحارب إسرائيل ؟ السؤال الأول يعني تحديد اللحظة التي فيها تكتمل عناصر التطور، فإذا باسرائيل عليها أن تلجأ إلى أسلوب القتال العضوي، بمعني أن ترفع السلاح ولا تجد سوي هذه الأداة أي القوة العنيفة وسيلة لتحقيق أهدافها القومية. تحديد هذه اللحظة هي وظيفة القيادة القومية، ولكن السؤال الثاني يختلف: أنه يعني ما هو الأسلوب الأمثل للقتال؟ ما هو خير أسلوب للقضاء على الخصم ؟ وهو يعني ليس فقط السلاح المستخدم، بل وكذلك الأرض التي يجب أن تحتضنها الاداة المقاتلة، فضلا عن أسلوب ادارة القتال، الحرب هي سلاح، وقائد وأرضية للمعركة وأسلوب للتعامل مع هذه العناصر الثلاثة، أي تخطيط للقتال هذا هو جوهر العملية القتالية ولا يجوز أن تتدخل فيها أي قيادة خارج القيادة العسكرية، كل ما يتصل بها لا يمكن أن تقول فيها كلمة إلا المؤسسة العسكرية، وقيادتها القتالية، قد تبدو التفرقة بين متي يجب أن نقاتل ؟ وكيف يجب أن نقاتل ؟ سهلة واضحة، وهي كذلك في كثير من المواقع، هل يكون البدء بالهجوم من جانب الجيش الاسرائيلي أم تلقي الضربة الأولى يكون من نصيبه ليعقب ذلك الهجوم الصاعق ؟ هل تكون البداية بمعني الضربة المجهضة، وسيلتها الصواريخ المكثفة، أم يجب الالتجاء إلى الطيران لأداء تلك الضربة المجهضة ؟ هل يجب أن يأخذ القتال صورة التراجع مع سياسة الأرض المحروقة، ثم القيام بعملية التفاف وحصار لاكراه الجيش المتقدم على الاستسلام، أم الهجوم الممتد على شكل رأس الثور ؛ مع البحث عن نقاط الضعف لتحقيق عملية اختراق، ومن ثم فرض الاستسلام؟ هذه أسئلة جميعها تدور حول الاستفهام: كيف يجب أن نقاتل، وليس من حق أحد سوي المؤسسة العسكرية أن تتدخل فيه، ليس (للقيادة القومية)[1]، والتي يغلب عليها الطابع السياسي سواء كانت تمثل الطبقة الحاكمة، أو المعارضة المسئولة أن تتدخل فيها.

---

(1) كان رسول الله محمد ﷺ والخلفاء الراشدون (أبو بكر – عمر – وعثمان – وعلي) رضوان الله عليهم أجمعين يخططون ويتابعون التنفيذ، ويختارون القادة والجند للمعارك التي حققت الإنتصارات وأدت إلى إسقاط أكبر امبراطوريتين فارس والروم .

منطق عسكري جديد لم تعرفه إسرائيل قبل ذلك، وبصفة خاصة قبل حرب لبنان، ورغم أن هذا المنطق سوف يكون موضع تحليل أكثر عمقاً، وأكثر تفصيلاً فيما بعد، إلا أن يعنينا مؤقتاً من هذا المنطق عنصران أساسيان.

(العنصرالأول) الفهم الواضح للمتغيرات الجديدة، التي تعاصرها المنطقة، والتي يجب أن تتعامل معها من هذا المنطلق العسكرية الاسرائيلية.

(العنصرالثاني) النتائج المترتبة على ذلك التطور، من حيث السلاح الذي يجب أن تستخدمه إسرائيل في تعاملها مع المنطقة.

نتابع هذين العنصرين بشئ من التفصيل، لنصل إلى موضع القنبلة النووية التكتيكية في هذا الاطار العام.

العنصرالأول: لا يزال يسيطر عليه التقليد الثابت من أن إسرائيل يجب أن تظل متفوقة على جميع الدول العربية في آن واحد. هذا التفوق الذي كان من السهل تحقيقه حتى حرب ١٩٦٧ لم يعد كذلك.

مصادر المقالة الخامسة

- PERI, Between battles and ballots, lsrael military in polltics, 1984.
- CROSE, lsrael In the mind of America, 1985.
  051 El SENSTADT, The transformation of lsrael society 1985.
- FREEDMAN, The Middle east after the lsrael invasion of lebanon, 1986.
- KRAUSZ, politics and society in Israel. 1985.

obeikandl.com